اكتساب الكلام وممارسته

الأطفال فى مختلف بلدان العالم يمكنهم استقبال الكلام عقب ولادتهم مباشرة، ويقضون عامهم الأول مستقبلين فقط دون القدرة على الكلام، بيد أنهم يظهرون مؤشرات تدل على فهمهم لما يسمعونه، بل وقد يمارسون ذلك بالفعل من خلال تنفيذ بعض الأوامر إجرائيًا، واتباع التعليمات التى تقدم لهم. ومع نهاية العام الأول يبدأ الطفل كلماته الأولى التى تتضمن مقاطع صوتية بسيطة، مع تركيبات صوتية غير واضحة، ورغم ذلك فهى تقترب كثيرًا من الكلام الذى يسمعه من المحيطين به، وتنطوى الكلمات الأولى عادة على أمور ذات أهمية خاصة بالنسبة له، أو أشياء يريدها مثل: ماما، بابا، لبن، ماء...

وتتطور قدرة الطفل خلال العام الثانى بحيث تمكنه من فهم مزيد من الكلام المعقد الذى يسمعه، كما يمكنه نطق مزيد من الكلمات، محاولاً ممارسة الكلام بجمل بسيطة وإن كانت غير كاملة. كما يكتسب الأطفال النظام الصرفى للكلام (القواعد، والتركيب، والسياق) من خلال الأحاديث اليومية التى يسمعونها من الكبار ممن يعيشون معهم.

ويظهر ذلك جليًا عندما يستطيع الطفل تكوين جمل (من كلمتين أو ثلاث) حيث يتعين عليه مراعاة تركيبها من حيث الكلمة التى تأتى أولا ثم التى تليها.. وذلك كى يفهمها المستمع، وهكذا يتعلم الطفل كيفية استخدام الكلام بصورة مناسبة كى يستطيع التعامل به مع الآخرين بفاعلية.

ورغم وجود بعض العموميات فى عملية اكتساب اللغة لدى الأطفال من

مختلف الثقافات – فإن هناك وجهات نظر مختلفة ومتباينة حول تفسير هذه العملية، وقد عنى كثير من العلماء والباحثين، ممن ينتمون إلى تخصصات مختلفة – بدراسة اللغة، فقد تناول الفلاسفة وعلماء النفس العلاقة بين اللغة والتفكير، واهتم المتخصصون فى اللغة بألوانها وأشكالها، ونظر المتخصصون فى علم النفس وفى العلوم العضوية إلى اللغة من خلال الأصول العضوية والنفسية لها، أما المتخصصون فى علم الأعصاب، والأطباء النفسيون، والمختصون بعلاج اضطرابات اللغة فقد درسوا الأصول العصبية لكل من اللغة العادية والمضطربة، كما تناول المتخصصون فى دراسة نمو الأطفال، وعلوم اللغة، وفى بعض فروع علم النفس العلاقة بين التكوين العقلى المعرفى للفرد واللغة.

ورغم أن جزءًا من اختلاف وجهات النظر حول اللغة يرجع إلى اختلاف مجال التخصص، فإن بعضها يرجع أيضًا إلى تاريخ دراسة اللغة، نظرًا لحدوث تغير فى وجهات النظر ومجال الاهتمام. من حقبة زمنية إلى أخرى، فقد تغير ذلك كثيرًا خلال السبعينات مثلاً عنه خلال الخمسينات، ولذلك تعددت مداخل دراسة اللغة. وتباينت، وسوف نستعرض أهم هذه المداخل بإيجاز.

١ - المدخل السلوكى The Behavioral Approach

يؤكد هذا المدخل على أهمية ظروف البيئة المحيطة بالطفل كعامل أساسى فى اكتسابه للغة دون النظر إلى قدراته الداخلية. فالكلام مثله مثل أى نوع من السلوك يمكن برمجته وتعليمه للآخرين. وترجع أصول المدرسة السلوكية إلى الاشتراط الكلاسيكى الذى اكتشفه بافلوف من خلال تجاربه على إسالة اللعاب لدى الكلاب. وقد قام بافلوف بإعداد مصدر لصوت بحيث يمكن إصدار صوت كلما قدم الطعام للكلب، الذى تعلم بدوره استجابة إسالة اللعاب عند سماعه للصوت.

وطبقًا للمدرسة السلوكية فإن الكلام عبارة عن سلوك يمكن تعلمه عن طريق الاشتراط، فعلى سبيل المثال يتعلم الطفل (البالغ من العمر تسعة أشهر) إصدار

صوت معين للوالدين أو المحيطين به عندما يسمع أصواتهم وينظر إليهم، حيث يشعر بالراحة والسرور والأمن .. (تعزيز)، وهكذا يميل الطفل إلى تكرار إصدار مثل هذه الأصوات التى تجلب له السرور أو التعزيز. وكذلك عندما ينطق الطفل كلمة ماما، ويتبع ذلك قيام الأم بمداعبته وعناقه، وتغذيته وبالتالى يصبح السلوك اللغوى (ماما) مصدرًا لفرح الأم وسرورها (تعزيز)؛ مما يجعله يميل إلى تكرار ممارسته، وقد يعمم هذا السلوك فينطق هذه الكلمة فى أى وقت يريد فيه الطعام أو يتناوله بغض النظر عمن يقوم بإطعامه. وبنفس الأسلوب يتعلم الطفل نطق كلمة بابا ويعممها على جميع الرجال.. وما يلبث أن يتعلم استخدام هذه الكلمات بصورة صحيحة ومتمايزة بعد ذلك.

واتخذ سكنر (١٩٧٥) أسلوبا آخر فى تفسير عملية التعلم أطلق عليه الاشتراط الإجرائى أو الوسيلى Operant Conditioning. وبالتالى يعد الكلام سلوكًا إجرائيًا أو وسيليًا يتم تعليمه عندما يعقبه تعزيز، بينما يكف الطفل عن تلك الأصوات التى لا تلقى تعزيزًا. ويعد الوالدان بمثابة المعلم الذى يشكل أصوات الطفل، ويعززها كلما اقتربت تدريجيًا من نماذج كلام الكبار.

وهكذا يؤكد هذا المدخل أهمية التقبل الاجتماعى فى تعلم الطفل الكلام، ويلعب الوالدان دورًا أساسيًا فى تعليم الطفل اللغة خلال العامين الأولين من عمره، وسواء بتوفير المثيرات الصوتية له، أو بتعزيزه على ممارسة تلك الأصوات بصورة تقترب من الكلام العادى الشائع فى ثقافته، ويصل هذا التأثير درجة كبيرة يصبح عندها من الصعب تحديد ما يمكن أن تحدثه ثقافة أخرى فى لغة الطفل بعد وصوله سن العامين.

وجدير بالذكر أن المدخل السلوكى فى اكتساب اللغة استخدم على نطاق واسع فى تدريب الأطفال الذين يعانون اضطرابات فى النطق والكلام خلال الستينات والسبعينات من القرن العشرين، ولا يزال أسلوب الاشتراط الإجرائى أو الوسيلى

يستخدم فى مساعدة كثير من الأطفال الذى يعانون اضطرابات النطق والكلام على اكتساب الكلام العادى حتى الآن.

٢ - المدخل الفطرى (الطبيعى) The Nativisrt Approach

يذهب أصحاب هذا المدخل إلى أن الفرد يولد مزودًا بالأجهزة الفسيولوجية الأساسية التى تمكنه من فهم الكلام وممارسته (التعبير)، ويلزمه فقط أن تتوافر له الاستثارة اللغوية من خلال الناس المحيطين به، وقد حاول المهتمون بهذا المذهب تفسير قدرة الطفل على فهم الكلام واكتسابه بسهولة، وبصورة لا توحى بأن ذلك كله يحدث نتيجة لعملية تعلم مقصودة من قبل المحيطين به. وفى معرض تأكيد ذلك أشار تشومسكى Chomsky (١٩٨٨) إلى حقيقة مهمة مؤداها أن الصغار يتعلمون الكلام ويمارسونه رغم أنه نادرًا ما يقوم أحد بتصحيح كلامهم وطريقتهم فى تركيب الجمل، وهو هنا يفسر ذلك بأن الطفل يولد ولديه استعداد عضوى لمعرفة قواعد اللغة، أو على الأقل يجعله مهيئًا لاتباع تلك القواعد عند الكلام.

وبعبارة أخرى فلدى الطفل معرفة فطرية بقواعد الكلام؛ فالطفل الذى يتعلم اللغة الإسبانية أو أى لغة أخرى يعرف- مسبقًا بالفطرة – القواعد اللازمة لتركيب كل منها على حدة، أى أنه يعرف المتطلبات اللازمة لتركيب الكلام فى مختلف لغات العالم (تشومسكى Chomsky ١٩٨٨).

وقد ناقش ماكينل Mencil (١٩٧٠) أداة اكتساب اللغة Language Acquisition Device (LAD)، التى تعد نموذجًا للاكتساب يتسق مع المدخل الفطرى.

ويتضمن هذا النموذج أن الكلام الذى يسمعه الطفل يمر عبر أجهزة تساعده على فهم وتعلم اللغة التى يسمعها، وباستمرار تعرض الطفل للكلام ومن خلال عملية اكتساب اللغة يتعلم القواعد، كما تنمو لديه القدرة على اتباعها فى أثناء الكلام.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الاستعداد (معرفة اللغة) ليس بالضرورة أن يماثل الأداء، أى ممارسة تلك المعرفة، وقد عبر ماكنيل عن هذه النظرية بالرسم التالى:

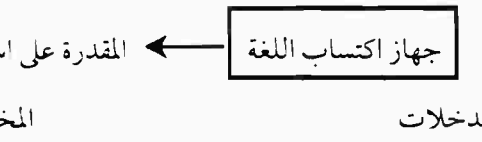

وقد قدم هذا النموذج "الصندوق الأسود" للاكتساب لتفسير كيفية تعامل المدخلات اللغوية (Corpus) والاستعداد العضوى للطفل (LAD) لتكوين الاستعداد لاستخدام القواعد.

ويرى تشومسكى (١٩٨٨) أن الاستعداد اللغوى يتضمن خصائص أو متغيرات عامة وأخرى متباينة، فتلك المتغيرات العامة تعد مسئولة عن الخصائص الثابتة أو الأساسية لمختلف اللغات، كما يجب وضع الأسس اللازمة لتلك الخصائص المتغيرة، ويتم وضع هذه الأسس من خلال تعرض الطفل للمثيرات اللغوية (المدخلات)، وذلك بعد أن تصبح تلك الأسس جزءًا من القدرة اللغوية له، وقد ركز بينكر Pinker (١٩٨٩) على كيفية تعامل القدرة اللغوية مع المدخلات اللغوية لمساعدة الطفل على تكوين الكفاءة فى استخدام القواعد، وقد حاولت وجهتا النظر سالفة الذكر على القاعدة الفردية للقدرة اللغوية فى معالجة المدخلات اللغوية. وتفترضا أن القدرة اللغوية فطرية تجدد سلفًا لدى الطفل وبصورة متميزة مستقلة.

٣ - المدخل المعرفى The Cognitive Approach

يعد النمو العقلى مطلبًا أساسيًا لتعلم الكلام، وقد تبنى هذا المذهب "بياجيه" منذ العشرينات من هذا القرن، فقد ذهب بياجيه (١٩٦٣) إلى أن النمو اللغوى للطفل يعد انعكاسًا لسياق نموه المعرفى الذى يسير فى مراحل متتابعة، وتمثل المهارات اللغوية أحد تطبيقات المهارات المعرفية العامة فى مجال التواصل، واستنادًا

إلى ذلك فإن النمو المعرفى يعد ضرورة ومطلبًا سابقًا للنمو اللغوى (كيلى ودالى، Kelly & Dale ١٩٨٩).

وبالإضافة إلى النضج المعرفى فإن الخبرة تعد مهمة أيضًا لدى أصحاب المدخل المعرفى، فالكلمات الأولى التى ينطقها الطفل تصف الناس والأشياء والأفعال التى يخبرها فى مواقف الحياة اليومية. وقد يمثل اكتساب الكلمات الأولى تركيبة من خبرات الطفل وتزيد قدرته على التعبير المجرد عن تلك الخبرات (فى صورة كلام) وينطوى ذلك على افتراض ضمنى مؤداه أن الطفل يكون مفاهيم معرفية عن العالم قبل أن يستطيع التعبير عنها لغويًا (بالكلام).

وبالإضافة إلى ذلك فإن الخلفية المعرفية لطفل (حول الناس، والمواقف، والأحداث) تساعده على التواصل بفاعلية مع الآخرين، وتؤكد الرابطة الوثيقة بين المعرفة، والخبرة، والتواصل على الرسالة التى تحملها اللغة وليس مجرد الشكل أو الصيغة.

وهكذا يفترض أصحاب هذا المدخل أن المهارات اللغوية للطفل – وطاقته على النمو اللغوى – يسير فى مراحل نمائية، وهذا عكس وجهة نظر أصحاب المدخل الفطرى الذين يفترضون أن المقدرة اللغوية للطفل تكتمل قبل مولده وتثبت مع الزمن، ومع ذلك لا ينكر أصحاب المدخل المعرفى وجود استعدادات فطرية تعد متطلبات سابقة، بيد أنها لا تقتصر على اللغة فحسب، لكنها عامة بالنسبة لمختلف المهارات المعرفية والأنشطة التى يؤديها الفرد، وعلى ذلك فإن المهارات اللغوية تعتمد إجرائيًا على نمو المهارات المعرفية.

٤ - المدخل البنائى The Structural Approach

يتعرض الطفل يوميًا – منذ ولادته – لكلام المحيطين به، فيكتسب منها خلال شهور قليلة معلومات كافية عن اللغة تؤهله لفهمها والتعبير عنها لفظيًا، ويركز المدخل البنائى على تلك الطريقة المنظمة التى تنمو بها لغة الطفل من كلمة واحدة إلى ممارسة الكلام العادى مع الكبار.

ويذكر بروان Brown (١٩٧٦) – وهو من المهتمين بهذه النظرية – أن الطفل يبدأ فى ممارسة الكلام بصورة تلغرافية تتضمن كلمات بسيطة منفصلة، وكما هو الحال فى الرسائل التلغرافية يتم اختيار الكلمات الدالة على المضمون مثل الأسماء، والأفعال، والصفات التى تعبر عن الأشخاص، أو الموضوعات، أو الصفات، ويتم استبعاد الضمائر وحروف العطف وأدوات الوصل.. وغيرها من الأفعال المساعدة.

وقد أجرى بروان وفراسر Brown & Fraser (١٩٦٣) دراسة طولية على (٦) أطفال تنحصر أعمارهم بين ٢-٣ سنوات، واتضح أن كلام الطفل المبكر يتضمن كلمات المضمون أساسًا، ويتم إضافة كلمات تفصيلية أخرى من وقت لآخر بصورة منظمة خلال عملية اكتساب اللغة.

كما اتضح أن الأطفال يحاولون تغيير مقام الصوت ونغمته فى الغالب لتعويض طريقة الكلام التلغرافى التى يمارسونها، وكان يتم ذلك خلال ممارسة الكلام بنفس أسلوب الكبار منذ البداية، بيد أنه يظهر بصورة تلغرافية، حيث يظهر الكلام فى صورة جمل حذفت منها مقاطع معينة.

وقام بروان Brown (١٩٧٣) بتحليل كلام الأطفال عبر فترات زمنية مختلفة، وقد توصل إلى وضع خمس مراحل لتكوين الجملة يبدو أنها تعكس (أو تقابل) عملية النمو اللغوى برمتها، وقد تم وضع هذه المراحل طبقًا لعدد وحدات الكلمات التى يستخدمها الطفل فى كلامه، أو بعبارة أخرى متوسط عدد الكلمات فى الجملة، وذلك على النحو التالى:

مرحلة١ : [$\frac{٣}{٤}$ ٢ كلمة]، حيث يستخدم الطفل كلمة مفردة، ثم يحاول إضافة كلمة أخرى إليها، مثل الاسم والفعل- بابا باى، ياره راح.

مرحلة٢ : $\frac{١}{٤}$ ٢ كلمة]، وهنا يحاول الطفل تغيير نهايات الكلمات ليعبر عن القواعد مثل: الناس مشى...

مرحلة٣ : [٢ ٣/٤ كلمة]، حيث يبدأ الطفل استخدام صيغ التساؤل، مثل: هى دى سيارة؟ هى دى بتاعتى؟

مرحلة٤ : [٣ ٣/٤ كلمة]، يبدأ الطفل استخدام الجمل المعقدة، مثل: بابا راح فين؟ فين اللعبة بتاعتى؟ فين الحاجة الحلوة بتاعتى؟

مرحلة٥ : [٤ كلمة]، يبدأ الطفل استخدام الروابط أو حروف الوصل، مثل: بابا راكب فى السيارة، محمد راح مع بابا، بابا فى الشغل..

ورغم وجود تداخل بين هذه المراحل فقد أوضحت دراسات بروان ورفاقه سياقًا من التقدم الحقيقى من مجرد نطق كلمة مفردة، إلى جملة من كلمتين إلى جمل تلغرافية، مع تقدم تدريجى فى اتباع القواعد اللغوية، ومن ثم استخدام جمل كاملة تماثل كلام الكبار.

وقد أجرى براين Braine (١٩٦٣) دراسة لثلاثة أطفال يبلغون من العمر (٢٠ شهرًا)، واستمرت الدراسة ٦ شهور، وكانوا يمارسون كلامًا يتضمن جملاً من كلمتين، وقد وجد أن هؤلاء الأطفال يستخدمون كلمات محورية Pivot فى كلامهم، وهى كلمات معينة يستخدمونها فى تكوين عدة جمل، مثل هات، خذ.. وغالبًا يبدى الطفل نجاحًا فى استخدام صيغة الفعل فى كلام معين، ثم يستخدم نفس الصيغة فى موقف آخر، وقد يغير كلمة أو كلمتين فى بداية الكلام أو نهايته.

وقد أطلق براين Braine على عملية استخدام نفس الصيغ فى مواقف مختلفة "تعميم المواقف" Contextural Generalization (أو تعميم سياق الكلام أو محتواه)، وقد تكون عملية تعميم المحتوى / السياق هى المسئولة عن استخدام الكلمات فى مواضع معينة فى أثناء تنظيم الكلمات فى مختلف الجمل، ويبدو أن هناك فئات معينة من الكلمات غالبًا تأتى فى بداية الجمل؛ مثل أداة التعريف، أو الضمير، وكذلك استخدام كلمات معينة فى نهاية الجمل، مثل الصفات أو الظروف.

وقد ركزت معظم أعمال أصحاب المدخل البنائى خلال الستينات على طول الجمل المستخدمة فى الكلام، ونوع الكلمات المستخدمة، والقواعد، وتركيب الشكل أكثر من المعنى، فقد ذكر فنتيز Winitiz (١٩٦٤) أن التركيز على المعنى (كأحد مجالات دراسة اللغة) لم يكن مفضلاً فى تلك الآونة.

وذلك يبدو أنها كانت مسألة وقت قبل بدء دراسة المعنى ضمن بناء صيغة الجملة، وتعد دراسة بلوم Bloom (١٩٧٠) من الدراسات المبكرة فى هذا الصدد، الذى رأى أنه لكى يكون كلام الأطفال صحيحًا من حيث القواعد، لا بد من إمكانية فهمه دون الانتباه كثيرًا إلى سياق الكلام أو محتواه، ويبدو أن المعنى الذى يقصده الطفل كان واضحًا بالنسبة له فقط، فعلى سبيل المثال إذا قال طفل يبلغ من العمر عامين: بابا سيارة، فهنا قد لا نعرف ما يقصده بالضبط، هل يريد أن يركب السيارة مع والده؟ أم يقصد أن والده سوف يحضر بالسيارة؟ أم يريد أن يشترى له والده سيارة لعبة؟ أم أنه سمع صوت سيارة فاعتقد أن والده قد حضر؟...

وهكذا يصعب معرفة معنى كلام الطفل بالضبط، إلا إذ لاحظنا محتوى الموقف المحيط بالطفل، كأن يشير بيديه إلى الباب مثلًا، أو يجرى إلى الباب؛ انتظارًا لوالده، أو يشير بيده إلى السيارة اللعبة التى أحضرها له والده.. ورغم ذلك يبدو أن الأطفال يحاولون تحقيق أفضل استفادة من الحصيلة اللغوية المحدودة التى اكتسبوها.

ومع زيادة ما يكتسبه الأطفال من معلومات حول البيئة المحيطة بهم، ومع تطور قدرتهم على استخدام الكلمات بمزيد من التحديد والخصوصية.. كل ذلك يصاحب بوضوح كلامهم وزيادة قدرة المستمع على فهم معناه، وبوصول الطفل سن الثالثة يحقق مزيدًا من النمو المعرفى، وبالتالى يزداد تعقد كلامه، ويتطور كمًا وكيفًا.

٥ - المدخل الواقعى أو العملى The Pragmatic Approach

يركز هذا المدخل على كيفية استخدام الأطفال للكلام، وهو يختلف عن المدخل المعرفى من حيث اهتمامه بكيفية تفاعل الطفل مع الآخرين من المحيطين به عن طريق الكلام، فقد أشار كل من باتس Bates (١٩٧٦) وبرونر Bruner (١٩٧٥) إلى أن خبرات التفاعل الإنسانى التى يمر بها الطفل خلال عامه الأول تزوده بكثير من الأدوار العملية للغة، وذلك قبل قدرته على ممارسة الكلام بصورة فعلية، وقد سبقت الإشارة إلى أن الطفل يستخدم الأصوات وحركات الجسم للتعبير عن حاجاته ومشاعره، والتواصل مع الآخرين، ثم ما لبث أن يكوِّن كلمات من سلسلة الأصوات التى يصدرها وفقًا للقواعد التى يتعلمها من المحيطين به.

ويذكر برونر Bruner (١٩٧٥) أن القواعد اللغوية التى سجلت للكلام المبكر للطفل تعد امتدادًا لعمليات نفسية اكتسبها خلال الثمانية عشر شهر الأولى من حياته.

ويرى باتس Bates (١٩٧٦) أن فعل الكلام الذى يمارس من خلال التفاعل البشرى (الإنسانى) عبارة عن "نشاط إنجازى" Perfomative act أو ذلك العمل الذى ينوى المتحدث إنجازه قبل إثارة التساؤلات، أو الاستفسار عن شىء ما؛ فالكلام غرضى؛ أى يسعى لتحقيق هدف ما للتحدث، وبصورة عامة يرى أصحاب هذا المدخل أن الطفل يتعلم اللغة مبكرًا؛ كى يستطيع التعبير عما يريده من الآخرين، ويستطيع ممارسة الكلام عندما يتعلم خصائصه المختلفة من نغمة، وشدة، وطول، ووقفات... إلخ. وقد سرد هاليدى Halliday (١٩٧٥) سبع حاجات أو مطالب بشرية يمكن أن تشبعها اللغة هى:

١- وسيلية (أنا أحتاج إلى...).

٢- تنظيمية (خذ هذا ...).

٣- تفاعلية (كيف حالك؟ ...).

٤- شخصية (أنا جائع ...).

٥- استكشافية (أين ...؟).

٦- تخيلية (لماذا لا نحاول ...؟).

٧- إعلامية (هل تعرف ...؟).

ويبدو أن وظائف اللغة هذه تحقق معظم الحاجات التفاعلية للطفل الصغير، ومع تزايد تعقد صور القواعد التى تنمو لدى الطفل، ومع زيادة الحصيلة اللغوية التى يكتسبها، كل ذلك يمكنه من التعبير عن حاجاته بمزيد من الإيضاح، كما يساعده على استخدام الكلام المناسب لمواقف معينة، كما يتعلم استخدام الكلام المناسب مع الوالدين، أو المعلم، أو الطبيب... إلخ، وهنا يتعلم الطفل أن مقتضيات الموقف تتطلب صيغًا معينة من الكلام، ويتعلم من خلال تفاعله مع الآخرين ما يتعين أن يقول، وكيف يقول ومتى يستخدم الكلام بصورة معينة؟

فعلى سبيل المثال يعرف الطفل تدريجيًّا أن لوالدته اسمًا آخر غير ماما، وكذلك لوالده، كما يتعلم ما يجب أن يقوله لوالدته عندما يكون معها بمفردها، وماذا يقول حينما تكون مع الضيوف.. إلخ، أى أن الكلام غرضيًّا يحمل رسالة معينة إلى المستمع، وبالتالى يتم بصورة تساعد المستمع على فهم الرسالة جيدًا؛ كى يكون الكلام فاعلاً، وبما يساعد على مزيد من التفاعل والتواصل بين الطفل والآخرين.

٦ - المدخل العضوى The Boological Approach

يركز هذا المدخل على وظيفة الجهاز العصبى المركزى بالنسبة لعملية الكلام، فقد أشار لينبرج Lenneberg (١٩٦٧) إلى وجود أدلة على أن أنسجة المخ وبقية أجهزة الجسم تمثل معينات عضوية، ووحدات متكاملة لتعلم الكلام وممارسته، وقد تزايد اهتمام العلماء والباحثين عبر السنين بدراسة العلاقة بين الأجهزة العضوية واكتساب اللغة، فقد أوضحت دراسة "الحبسة الكلامية" Aphasia، سواء لدى الكبار أو الصغار أن النصف الأيسر للمخ يتحكم فى كثير من جوانب فهم الكلام وإنتاجه،

بينما يبدو أن النصف الأيمن للمخ يتحكم فى الإيقاع، والنغمة والتعبير الانفعالى. وهكذا تتكامل وظائف نصفى المخ فى إتمام عملية الكلام وتوظيفها جيدًا فى عملية التواصل.

وبناء على ذلك اهتم عدد من الباحثين بدراسة الخصائص العضوية الكامنة خلف المهارات اللغوية، وقد كان كل من جشونيد ولفيتسكى Geschwind & Levitsky (١٩٦٨) أول من اكتشفا عدم تناسق منطقة المخ المسئولة عن عملية معالجة الكلام فى نصفى المخ، وقد أكدت البحوث الحديثة أن هذا اللاتناسق يحدث خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة من الحمل (شى دولنج وجيلس Chi, Dooling & Gilles (١٩٧٧)).

وقد استنتج الباحثون من ذلك أن نصف المخ الأيسر أكثر تحكمًا فى الكلام منه بالنسبة للنصف الأيمن، بيد أن هذه العملية ما زالت قيد البحث حتى الآن.

وجدير بالذكر أن الطفل يولد وخلاياه العصبية فى مكانها الطبيعى، وتنمو نقط الاشتباك العصبى Synapses (أو الوصلات) بين الخلايا اللازمة لأداء الوظائف المختلفة بسرعة بعد ميلاد الطفل، ويحدث تكاثر فى عمليات الخلايا والوصلات فى مناطق المخ المسئولة عن عملية الكلام من خلال اكتساب الطفل المبكر لمهارات التواصل والكلام.

وتعد تلك الأحداث العصبية متطلبات مسابقة ومصاحبة لاكتساب اللغة؛ لأن هناك تغيرات عصبية تسبق اكتساب مهارات الكلام وتصاحبها.

وقد اهتم بعض الباحثين بالجوانب الوظيفية أو الفسيولوجية المرتبطة باكتساب اللغة، حيث استخدموا أساليب مختلفة لمراقبة نشاط المخ لدى الأفراد فى أعمار مختلفة، فقد أوضح مولفيس Molfese (١٩٩٠) – مثلًا – وجود اختلاف فى استجابات المخ الكهربية لدى الأطفال بالنسبة للكلمات التى سبق لهم تعلمها، وتلك الكلمات التى لم يتعلموها بعد..

ويعد النشاط الكهربائى المقاس هنا انعكاسًا لاستجابات فسيولوجية بالمخ

للكلمات التى يسمعها هؤلاء الأطفال، بينما ذهب فريق آخر من الباحثين (نيفل وآخرون Neville et al ١٩٩١) إلى دراسة النشاط الكهربائى لمخ الكبار كاستجابة لبعض مكونات اللغة مثل القواعد والمعنى.

وهكذا فإن نتائج البحوث حول الجوانب العصبية والفسيولوجية المرتبطة باللغة أوضحت بعض احتمالات التدخل العضوى فى عملية اكتساب اللغة، ولذلك فإن هذا المدخل يحاول تفسير كيفية اكتساب اللغة، بينما تركز المداخل الأخرى على متطلبات ذلك.

ويمكن أن يسترشد الباحثون فى المجال العضوى بالمقترحات النظرية المستمدة من المداخل الأخرى حول عملية الكلام، وبالتالى يمكن أن تسفر هذه الدراسات عن نتائج تدعم مقترحات المدخل العضوى حول اكتساب اللغة أو تدحضها.

تعليق ووجهة النظر:

يبدو أن المداخل المختلفة – سالفة الذكر – لا تختلف من حيث الهدف الأساسى بقدر ما تختلف فى الجانب الذى يركز عليه كل منها، ولذلك نجد أن الباحثين يجمعون بين جوانب متعددة من المداخل المختلفة أو يدمجونها مع بعضها من وقت لآخر، فكل من المدخلين المعرفى والواقعى – على سبيل المثال – يؤكد أهمية الوظيفة التواصلية للغة.

أما المدخلان الفطرى والبنائى فقد يشتركان فى تركيزهما على صيغة اللغة أو شكلها، وغالبا يتناول المدخلان المعرفى والسلوكى محتوى اللغة على أساس أنه نتيجة للخبرات التى يمر بها الطفل خلال نموه، وتركز المداخل العضوية على المصاحبات العصبية والفسيولوجية للغة.

ويبدو أن اختلاف الجوانب التى يركز عليها كل من تلك المداخل يعكس فى جزء منه اختلاف المجالات التى أسهمت فى مجال اللغة. ومع تزايد الدراسات المشتركة (عبر المجالات المختلفة) حول اللغة فإننا نتوقع مزيدًا من التكامل بين هذه المداخل.